الباب الخامس

من قصص الجار السيء في عصر النبوة

الفصل الأول: سوءُ جوار اليهود في المدينة

الفصل الثاني: سوءُ جوار يهود بني قينقاع

الفصل الثالث: سوءُ جوار يهود بني النضير

الفصل الرابع: سوءُ جوار يهود بني قريظة

الفصل الخامس: سوءُ جوار أبي لهب وعقبة بن أبي معيط

الفصل الأول

سُوءُ جِوَارِ اليهود في المدينةِ

لما قدم النبي ﷺ المدينة ، كان فيها من أحياء اليهود : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وكان يسكنُ بجوارهم قبيلتا الأوس والخزرج ، وكانوا يسيؤون جوارهم ، ويبذرون بينهم العداوة والشَّرّ ، ولم يُسْلِمْ من اليهود سوىٰ قليل من مثل : عبد الله بن سلام ، وأهله ، وعمّته ، ومخيريق الذي قالَ النبي ﷺ في حقه : « مخيريق خير يهود »[1] .

ـ ولما استقرَّ رسول الله ﷺ في المدينةِ المنوَّرة ، كتبَ ميثاقاً وهدنةً معهم ؛ وكان هذا الميثاق يتناول تنظيم العلاقة بين المسلمين عامّة وبين اليهود ، حيث إنَّهم يعيشون ضمنَ

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٣/ ٢٣٦و٢٣٧) .

تجمّعات المسلمين ، ولكنهم متميزون في دورهم وتجمعاتهم بعيداً عن المسلمين ، ولكنْ بجوارهم . وكان من جملة بنود الميثاق المحافظة علىٰ الجوار ، وأنَّ اللهَ جارٌ لمن برَّ واتّقىٰ[1] .

ـ ولكنَّ اليهودَ بثالوثهم الخبيث : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ؛ خانوا الجوار ، ولم يرعوا حرمة الجار ، ونقضوا الميثاق ، وقابلوا هذا الإحسانَ بالإساءة ، وحاربوا الدعوة الإسلامية بأساليبهم الخبيثة ، وهمّوا بقتل النبي ﷺ وهو بدارهم لولا أنْ عصمه الله منهم ، وحاولوا طعن المسلمين في ظهورهم ، وكانت حياتُهم في المدينة وما جاورها سلسلةً منَ المخازي والغدر والخيانة وسوء الجوار ، فما كان من رسولِ اللهِ ﷺ إلا أنْ وقف منهم موقفاً حازماً ، وأجلاهم عن المدينة ، واستراحَ وأراحَ من شرورهم ، وقتل من يستحق القتل منهم ، وسنرىٰ في الصفحات الآتيات سوء جوار كل قبيلة منهم .

---

(١) انظر : تهذيب سيرة ابن هشام (ص١٢٦) .

الفصل الثاني

سوءُ جوارِ يهود بني قينقاع

ـ بعد أنِ انتصرَ المسلمونَ في غزاة بدر ، برزَ الحقدُ في نفوس اليهود ، وتمادوا في الغي ، وقال يهودُ بني قينقاع للرسول ﷺ : يا محمد ، لا يغرنّك أنّك لقيتَ قوماً لا عِلْمَ لهم بالحروب ، فأصبتَ منهم فرصة ، أما واللهِ لئن حاربناك لتعلمنَّ أنا نحنُ النّاس .

ـ وقلبَ يهودُ بني قينقاع ظهر المجن ، ولم يبالوا بالقيم الخلقية ، ولا التقاليد العربية ، ولم يحسنوا الجوار ، بل عبثوا بالشّرف والكرامة .

ـ قال ابنُ هشام ـ رحمه الله ـ في السّيرة ما مفاده : كان من أمْرِ بني قينقاعَ أنَّ امرأةً منَ العرب قدمتْ بجَلَبٍ لها ، فباعته

بسوق بني قينقاع ، ثُمَّ جلستْ إلىٰ صائغٍ هناك منهم ، فجعلوا يريدونَها علىٰ كشفِ وجهها ، فأبتْ ، فعمد الصَّائغُ اليهوديُّ الخبيثُ إلىٰ عملٍ مشين ، حيثُ عقدَ طرفَ ثوبها إلىٰ ظهرها وهي لا تشعرُ بما صنعَ ، فلما قامت انكشفتْ سوأتها ، فضحكوا منها ، فصاحتْ واستغاثت ، فوثبَ رجلٌ من المسلمين علىٰ الصائغ اليهودي الخبيث الغدّار فقتله ، وتجمّع اليهودُ علىٰ المسلم ، وشدّوا عليه فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فغضب المسلمون ، ووقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع .

ـ لذلك لم يَجِدْ النبيُّ ﷺ بداً من غزوهم ، وقد أساؤوا الجوار ، ونقضوا العهد بهذه الفعلة النكراء الشوهاء الخرقاء ، وأخبرهم بنقض العهد ، ثم حاصرهم خمس عشرة ليلة ، نزلوا بعدها على حكم الله ورسوله ، وكان لهم حليفان : عبادة بن الصَّامت ـ رضي الله عنه ـ ؛ وعبد الله بن أُبيّ ابن سلول زعيم وكبير ورئيس ورأس المنافقين ، فأما عبادة فقد تبرأ إلىٰ الله ورسولهِ منهم وقال : يا رسول الله ، أتولىٰ الله

ورسوله ، وأبرأُ منْ حلفِ هؤلاء الكفّار وولايتهم .

ـ وأما ابن أبيّ ابن سلول فقال : يا محمد ، أحسنْ في موالي ، وألحَّ علىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ قبل بشرط أنْ يخرجوا مِنْ جوارهم منَ المدينة ولهم النّساء والذرية ، وللمسلمين الأموال ، وأمهلهم ثلاث ليال ، فذهبوا إلىٰ أذرعات علىٰ حدود الشَّام .

ـ وبذلك أزالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عن المسلمين شرَّ إحدىٰ دعائم الشرِّ الثلاث من اليهود ، وكان ذلك في أوائل سنة ثلاث من الهجرة النبوية . وقيل : في شوال سنة اثنتين من الهجرة .

* * *

الفصل الثالثُ

سوءُ جوار يهود بني النَّضير

ـ لم يكن يهودُ بني النَّضير أفضلَ من يهود بني قينقاع ، بل كانوا أشدَّ غدراً ، ولم يفُوا الجوارَ حقّه ، ولم يفوا بالعهد ، وزادوا في سوء جوارهم أن همّوا بقتل النبي ﷺ عندما خرجَ إليهم يستعينُهم في دِيَةِ رجُلينِ قُتلا بالخطأ علىٰ يدِ عمرو بن أميّة الضمري ، وكان مع رسول الله ﷺ جماعةٌ من أصحابه دونَ العشرة ، فلما جاءهم أظهروا له حسن الاستعداد لإجابته وقالوا نفعل ، فاجلس حتىٰ نطعمك .

ـ ثم إنَّ هؤلاء الأخابثَ خلا بعضُهم إلىٰ بعض وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل علىٰ مثل هذه الحالة ـ وكان رسول الله ﷺ جالساً مستنداً إلىٰ جنبِ جدار لهم ـ فَمَنْ رجلٌ

يعلو علىٰ هذا البيتِ ، فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك الشَّقي الحقود الخبيث : عمرو بن جحّاش وقال : أنا لذلك .

ـ وصَعِدَ الشقي الخبيث عمرو بن جحاش ليلقيَ الصخرة ، وأشرف بها ، فأتىٰ رسولُ الله ﷺ الوحي ، وأخبره بما همَّ القومُ المجرمون ، وما أرادوا منَ الغدر ، فقام ﷺ سريعاً ، ومضىٰ راجعاً إلىٰ المدينة ، فلما أبطأ لَحِقَ بهِ أصحابه ، فأخبرهم بما كانتْ يهودُ بني النضير قد اعتزمته منَ الغدرِ به وبهم .

ـ وبعثَ رسولُ الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري يطلب إليهم الخروجَ من جواره بالمدينة ، وأمهلهم عشرة أيام ، وإلا حاق بهم الهلاك ، فتحيّروا بأمرهم ، وسُقط في أيديهم ، فجاءتهم رسُلُ أهلِ النّفاق ابن أبي وأتباعه أن اثبتوا وتمنعوا ، فلن نسلمَكم ، فبعثوا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ أنهم لا يخرجون ، فسار إليهم ﷺ حتىٰ نزل بدارهم ، وحاصرهم خمس عشرة ليلة ، وقطعَ نخلهم وأمر بحرقها ، فملأ الرعب قلوبهم ،

واشتدّ الحصارُ عليهم ، ولم تمنعهم حصونهم منْ سوءِ المصير ، فسألوا النبي ﷺ أنْ يجليهم ويؤمنهم علىٰ دمائهم علىٰ أنَّ لهم ما حملتِ الإبلُ منْ أموالهم إلا السلاح .

فصالحهم رسول الله ﷺ علىٰ الجلاء ، وخرجوا وتركوا وراءهم مغانم كثيرة ، وأنزل الله سورة الحشر ، وخرج بعضُهم إلىٰ خيبر ، وبعضهم ذهبَ إلىٰ أذرعات بالشّام .

ـ وبإجلاء يهود بني النّضير أراحَ اللهُ المسلمينَ منْ ثاني دعائم الشر والآثام والفتن ؛ وكان جلاء يهود بني النّضير في شهر ربيع الأول من السّنةِ الرابعة من الهجرة النبوية بعيد غزاة أحد .

* * *

الفصل الرابع

سوءُ جوارِ يهود بني قريظة

ـ من الملاحظ أنَّ نهايةَ يهود بني قينقاع كانت بعد غزاة بدر ، وأن نهايةَ يهود بني النّضير كانت بعد غزاة أحد ، وأنَّ نهاية يهود بني قريظة كانت بُعيد غزاة الخندق .

ـ فكيف كانت نهايةُ هؤلاء الأخابث ، والذي فعلوه من سوء الجوار حتىٰ كانت نهايتُهم منْ أسوأ النهايات ، لأنَّ غدرهم كان أعظم الغَدْر ، وسوء جوارهم للمسلمين يمثّل أسوأ جوار عرفه تاريخهم ؛ وكان الدور الأكبر في سوء هذا الجوار لزعيم اليهود حُيي بن أخطب النَّضري الذي أقبل في جماعة من بني النَّضير ، وألَّبوا العربَ علىٰ محاربةِ رسولِ الله ﷺ بالمدينةِ حتىٰ كانت غزاة الخندق ، وأنَّهم سعوا

إلىٰ بني قريظة ـ والمشركون يحاصرون المدينة ـ أن ينقضوا ما بينهم وبين النبي ﷺ ، ولا يجعلوا لهذا الجار حرمة ولا مكانة ، ونجحوا بادىء الأمر في ذلك حتىٰ اشتدَّ الكرب علىٰ المسلمين ، وأضحوا بين نارين : نار المشركين من حول المدينة ؛ ونار يهود بني قريظة من داخل المدينة ، حتىٰ إن النبي ﷺ قد اضطر إلىٰ أنْ يرسلَ بعضَ أصحابه لحراسة النساء والذراري من غدر اليهود بعد أنْ نقضوا العهد .

ـ ولما عاد النبي ﷺ مِنَ الخندق بعد أنْ هزمَ اللهُ جموعَ الأحزاب ، جاء جبريل عليه السلام ، فقال : أوضعتَ السِّلاح يا رسول الله؟

قال : « نعم » .

فقال جبريل : ما وضعنا السِّلاح ، وإنَّ الله يأمرك بالمسيرِ إلىٰ بني قريظة ، فإني عامدٌ إليهم ، فمزلزل بهم ؛ فأمر رسولُ اللهِ ﷺ منادياً ينادي في الناس : « ألا لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » .

ـ وخرج رسولُ الله ﷺ وراءهم فيمن بقي منَ الصحابة ،

وحاصرَ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتىٰ اشتدَّ بهم الحال ، ولم يروا فائدة من تحصّنهم ، وأنهم لا ناصر لهم من دون اللهِ ، عرضوا علىٰ رسول الله ﷺ أن يعاملهم معاملة بني النّضير ، فأبىٰ إلا أنْ ينزلوا علىٰ حكمه ، ومن ثُمَّ اختاروا حليفهم سعد بن معاذ الأنصاري الأوسي ـ وكان في خيمة في المسجد النبوي يُعالج بسبب سهم أُصيب بهِ في الخندق ـ وجيء بسعد ـ رضي الله عنه ـ راكباً ، فقال له جماعة من الأوس : أحْسِنْ في مواليك ، فقال لهم : لقد آن لسعد ألا تأخذه في اللهِ لومة لائم ، ثم قال : فإني أحكم فيهم أن تقتلوا الرجال ، وتسبُوا النّساء والذرية ، فقال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم اللهِ من فوقِ سبعِ سموات » . ونُفِّذَ فيهم الحكم ، وفي مقدمتهم حيي بن أخطب ، وأكابر فجار اليهود .

ـ وبالقضاءِ علىٰ بني قريظة ، تخلّص المسلمون من آخر الشّرور والآثام ، وأمنَ المسلمون غَدْرَ وفسادَ جوار اليهود ، وأصبحتِ المدينةُ كلّها علىٰ قلبِ رجلٍ واحدٍ ، موئل

الإسلام ، وحصنه الحصين .

ـ وفي شأن بني قريظة ، نزلتْ آياتٌ كريمة من سورة الأحزاب[1] تصوِّر سوء جوارهم ، وغدرهم ، وكيف أنَّ الله عز وجل أورثَ المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكان الله علىٰ كل شيء قديراً .

* * *

(١) اقرأ الآيات (٢٥ـ٢٨) من سورة الأحزاب ، مع أسباب النزول .

الفصل الخامس

سوءُ جوارِ أبي لهبٍ
وعقبة بن أبي معيط

ـ إنَّ جارَ السُّوء منَ المصائبِ الكُبرىٰ في الحياةِ الدنيا ، فكم منْ رجلٍ فاضلٍ هاجرَ وهجرَ دارَه ليفارقَ جاره ، ويكفَّ عن نفسهِ وأهلهِ بوائقَه .

ـ وفي قصصِ السيرةِ في العهدِ المكي ، نجدُ صوراً بشعةً من صور الجوار السيىء المقيت ، من اثنين من عمالقةِ الفجور والبغي والعدوان ، وهما :

ـ المتبُوب أبو لهب عبدُ العزىٰ بنُ عبدِ المطلب ؛ عمّ النبي ﷺ ، الذي كان يؤذي النبي في كل شيءٍ ، فكانَ يسيرُ وراءه ويقولُ للناس : إنَّ هذا يأمركم أنْ تتركوا دينَ آبائكم

وهذا عارٌ عليكم . ولهذا قال الحبيب المصطفىٰ ﷺ : « ما أوذي أحدٌ ما أُوذيت » .

ـ وأما الآخر : فهو أحدُ فطاحلِ الخبثاءِ الزَّعاديدِ ، الذين تفننوا في إيذاء رسول الله ﷺ في جواره ، وفي دعوته ، إنه عقبة بن أبي معيط أخزاه الله .

ـ ولم يكن هذان الشقيان : أبو لهبٍ وعقبةٌ هما اللذان يسيئان جوار النبي ﷺ ، بل ذكر ابن إسحاق سجلاً حافلاً بأسماءِ الجيرانِ الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ ، وكانوا يتواصون علىٰ أذيته فقال : وكان النفر الذين يؤذون رسولَ اللهِ ﷺ في بيته : أبا لهب ، والحكمَ بنَ العاص بنِ أمية ، وعقبةَ بنَ أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي ، وابن الأصداء الهُذلي ؛ وكانوا جيرانه .

ـ ولكنَّ هذين الخبيثين أبا لهب وعقبة ، ضربا القدح المعلىٰ في إساءةِ الجوار ، وسوءِ الإيذاءِ ، فقد كان عقبةُ يتناوبُ مع المتبوبِ أبي لهب في الإساءة لجارهم رسولِ اللهِ ﷺ ، فكان عقبةُ يعمدُ إلىٰ مِكْتَلٍ فيجعلُ فيه الأذىٰ

والغائط ، ومن ثم يضعه علىٰ باب رسول الله ﷺ .

ـ وأما أبو لهب فكان يطرح القذر والنَّتنَ علىٰ باب رسولِ اللهِ ﷺ ، وكانت زوجه أمَّ جميل معواناً له علىٰ تقديم الأذىٰ والأذية لرسول الله ﷺ ؛ فقد كانتْ تضعُ هي الأخرىٰ الأوساخَ أمام النبي ﷺ ، فيبعدها ويقول : « أيُّ جوار هذا يا بني عبد مناف »؟!

ـ لكنَّ هذهِ الحاقدةَ كانت تزدادُ غيظاً وأذيةً ، فتأخذُ الشَّوك والحسك ، وتضعه في الليلِ في طريق النبي ﷺ ليعقره ويعقرَ أصحابه ، فتوعدها الله عَزَّ وجَلَّ وزوجها بسورةٍ كاملة بنار ذات لهب ، وتكون فيها حمالة الحطب ، حيث يكون في جيدها حبل من مسد تجمعُ فيه الحطب من هنا وهناك .

ـ وتابع هذان الخبيثان رحلةَ الأذىٰ لرسولِ اللهِ ﷺ ، واستمرَّ عقبة في ضلاله وسوء جواره ، يساعده بذلك أبو لهب ؛ ولم يتوقفْ هذان اللئيمان عن إساءةِ الجوارِ يوماً واحداً ، بل كانتْ دناءةُ فجورهما تدفعهما إلىٰ إساءةِ جوارِ رسولِ الله ﷺ ، وهو صابر علىٰ أذاهما وفجورهما .

ـ أخرج ابن سعد ـ رحمه الله ـ في « طبقاته » عن أمّنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيما روت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كنتُ بين شرّ جارين ؛ بين أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها علىٰ بابي ، حتىٰ إنهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذىٰ ، فيطرحونه علىٰ بابي » .

قالت عائشة : فيخرج رسولُ الله ﷺ فيقول : « يا بني عبد مناف أي جوار هذا »؟! ثم يلقيه في الطريق[1] .

ـ وظلَّ هذانِ الكافرانِ الشَّقيانِ اللعينانِ يُؤذيانِ الحبيبَ المصطفىٰ ﷺ ، حتىٰ هاجر إلى المدينة المنورة ؛ ولما كانتْ غزاةُ بدرٍ وقعَ عقبة بن أبي مُعيط أسيراً في أيدي المسلمين ، فحُبِسَ ، ومن ثُمَّ ضُرِبتْ عنقُه .

---

(١) انظر : طبقات ابن سعد (١/ ٢٠١) ، ومجمع الزوائد (٦/ ٢١) ؛ وانظر : السيرة الحلبية (١/ ٤٧٤و٥٠٨) والفروث : جمع الفرث : وهو بقايا الطعام في الكرش ، وهو من أسوأ ما يكون من النتن وقبح المنظر .

ـ أما أبو لهب ، فقد ماتَ بعد غزوة بدر بسبعة أيام ، وكانت نهايتهُ نهايةً بشعةً ، إذ ماتَ غيظاً وكمداً ، مات بمرضٍ يشبه الطاعون يسمىٰ « العدسة » وكانتِ العربُ تتشاءم بها كثيراً ، وبموتِ هذين الشقيين مات معهما الأذىٰ ، وانقرض سوء الجوار .

* * *